الوعي الإسلامي
مجلة كويتية شهرية جامعة

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

علماء وأعلام

كتبوا في

مجلة الوعي الإسلامي الكويتية

مقالات حصرية نشرت في المجلة

لـ ٣٥ عالماً من علماء الأمة الإسلامية وأعلامها

ما بين عامي ١٣٨٥ هـ - ١٤٢٦ هـ

الجزء الثاني

الإصدار الرابع عشر

الوعي الإسلامي

وروحاً حتى سمعت قريش منادياً يناديها بأنفذ صوت سمعته قط: يا أهل الجباجب: يا أهل المنازل بمنى، هل لكم في مذمم[١] والصباء الخارجين على دينهم معه قد اجتمعوا على حربكم؟ وربما كان هذا المنادي يريد في آن واحد تحذير قريش وتثبيط عزائم الأنصار. أما قريش فقد بلغ بها الحذر منتهاه حتى جاءت منازل الخزرجيين في شعب العقبة وأنشأ رجالها يعاتبون القوم قائلين: يا معشر الخزرج، نحن لا نريد حربكم، وما نكره أن نقاتل قوماً كما نكره أن نقاتلكم، فما بالكم تبايعون محمداً على حربنا وتخرجونه من بين أظهرنا؟

ولما أيقنت قريش أن هذا الحلف قد تم حقاً. وأن الأنصار سينفذونه فعلاً. خرجت تطلب من قدرت عليه منهم فلم تظفر إلا بسعد بن عبادة بأذاخر قريباً من مكة، فربطوا يديه إلى عنقه بجلد رحله، وجروه من شعره، وردوه إلى مكة وظلوا يعذبونه حتى أجاره حليفان له في الجاهلية جبير بن مطعم والحارث بن أمية.

وأما الأنصار فما ازدادوا إلا إيماناً وتسليماً حتى قال العباس بن عبادة للنبي: «والله الذي بعثك بالحق، إن شئت لنميلن على أهل منى غداً بأسيافنا!» ولكن القائد الحكيم عليه السلام أجاب: «لم نؤمر بذلك، فارجعوا إلى رحالكم».

وبينما كانت قريش تفكر بالقضاء على حركة الأنصار في مهدها، وتفكر في حماية أصنامها وعبادها، وفي الإبقاء على سيادتها وزعامتها، أقدم النبي ﷺ ببراعة وحكمة على عمل سياسي عظيم، فأمر أصحابه بالهجرة إلى المدينة فرادى أو نفرا قليلاً، فسوف يجدون النصر والتأييد في يثرب أوسها وخزرجها بين قوم يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة، وخافت قريش من هجرة المؤمنين إلى المدينة، ففرقت بين المرء وزوجه ومنعت الزوجة القرشية من المسير إلى يثرب مع زوجها المؤمن. ونكلوا أشد التنكيل بكل من أصابوه يعتزم الهجرة والرحيل.

وظل النبي البطل الشجاع في مكة دؤوباً على الدعوة إلى الإسلام، وقال لصاحبه أبي بكر حين استأذنه بالهجرة: «لا تعجل لعل الله يجعل لك صاحباً». وفي رواية أخرى «لم يؤذن لي» وكأنه كان ينتظر الفرصة السانحة التي يلهمه الله

---

(١) لم يقل المنادي «محمد» عكسها فقال: «مذمم» بغياً من نفسه إثارة للقوم.

أنها ملائمة لتنفيذ خطته الحكيمة البارعة.

ومن يتتبع السيرة النبوية المطهرة بعمق ودقة يوقن بأن الدوافع النفسية التي كانت تحمل الرسول الكريم على اختيار المدينة مهاجراً له تكاد تقطع بأن عمله الشخصي في رسم خطة الهجرة لم يكن ضئيلاً: فقد كانت للرسول في المدينة علاقة قربى، ففيها أخوال جده عبد المطلب من بني النجار. وفيها قبر أبيه عبد الله بن عبد المطلب. وفي السادسة من عمره زار النبي ﷺ مع أمه آمنة بنت وهب قبر أبيه، ومرضت أمه في الطريق فماتت ودفنت بالأبواء في منتصف الطريق بين مكة والمدينة. ومن المعلوم أن النبي ﷺ كان أول الأمر يتجه في صلاته إلى ناحية المدينة جاعلاً قبلته المسجد الأقصى ببيت المقدس مقام النبيين، فهل يلغي الدارس هذه الدوافع كلها ولا يرى فيها شيئاً مذكوراً؟.

على أن وضع النبي ﷺ خطة الهجرة لا ينبغي أن يتعارض مع تأييد الله له فيها بالوحي، فإن كلا من الأمرين يتمم الآخر، وينسجم معه بدلاً من أن يناقضه: إذ المعروف عن الرسول الكريم في جميع مراحل حياته أنه قد امتاز بمضاء العزيمة، وعلو الهمة، والكفاح الدائب، والثبات على المبدأ، والثقة بالنجاح، وما كان يستمد هذه الخصال كلها إلا من اطمئنانه إلى الله حتى ذهب مذهب الأمثال قوله لعمه أبي طالب: «والله يا عم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه».

وحين أوى النبي ﷺ وصاحبه أبو بكر إلى غار ثور، وقفا المشركون آثارهما، قال أبو بكر في جزع شديد: لو نظر أحدهم تحت قدميه لرآنا، فهمس النبي الشجاع في أذن صاحبه همسته الخالدة: «ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما؟ يا أبا بكر، لا تحزن إن الله معنا» ولذلك عد الله نجاح نبيه في هجرته نصراً ربانياً أيده به، فقال في سورة التوبة: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ (التوبة: ٤٠) وصرح في

سورة الأنفال بأن الله هو الذي مكر بالقوم الذين مكروا برسوله، فقال: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾ (الأنفال: ٣٠).

ليس من الخطأ إذا أن نقول: إن الله أيد بالوحي محمداً في الهجرة ونفخ فيه من روحه حتى نصره وأنجحه، فلا ريب أن هذا التأييد قد وقع، ولم يكن بد من أن يقع تكريما من الله لنبيه وتثبيتاً لفؤاده، ولكن الخطأ في قول من يقول: أن هذه الحادثة الكبرى كانت وحياً من الله خالصاً، كما أن الخطأ في قول من يزعم أن النبي انفرد برسم خطته، وأنه انتصر بمحض قدرته الشخصية وإرادته، فالحق أن أحداً من البشر مهما تبلغ مقدرته وحكمته وإرادته لا ينفرد بشيء، والنبي الكريم لم يكن بدعا من البشر، ولا بدعا من الرسل، ولكم قص الله على نبيه قصص الأنبياء السابقين: ﴿مَسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾ (البقرة: ٢١٤).

وعلى هذا الأساس، يمكن الجمع بين الأمرين: فقد قام النبي البطل الشجاع المقدام بالهجرة، تبعاً لخطة وضعها وأحكمها ثم نفذها، وقد استمد عناصر النجاح من تأييد الله له ونصره، وانتظر الإذن الرباني بالشروع فيها وإتمامها على ما يرضي اللّه. وهكذا تجلت في ملحمة الهجرة مشاهد البطولة النبوية التي ما عرفت الأيام ولن تعرف لها نظيراً.

وعلى هذا الأساس أيضاً يمكننا أن نعالج آثار النكسة التي أصابت العرب والمسلمين في الصميم، فعلينا اليوم أن نحصر طاقاتنا كلها في مواصلة النضال، متوكلين على الله رب العالمين، واثقين أن النصر من عنده وحده، وهو العزيز الحكيم.

* * *